

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة
أنا ومن اتبعني

صدق الله العظيم

رسالة

الداعي إلى الله وكيف يدعو؟

لشيخنا ومربينا

العارف بالله

فضيلة الشيخ / عاشر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه

وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

رجاء و اعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تسمع إلينا بأذنيك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها أيدينا
فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ، و كنا نحس
بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ، حتى قبض وهياً
الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا شد الله أزرنا ووجهنا
إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من السماء بنشر هذا العلم الجليل •
هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين ممن
ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه بين أيديهم •
نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث تختلف
كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ، وتفاوت
مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من يتصدي
للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت الأسئلة أحياناً
تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج عن الموضوع ذاته •

وحرصاً منا علي المحافظة علي (الهيكل العام للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان قد إستمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل اللهم . لما حذفنا كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته نوراً وإخلاصاً .

فمعدرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعا ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .

وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير ذلك نقول لأخينا القارئ (فاصفح الصفح الجميل) . وما توفيقنا إلا بالله

المعاني التي دار حولها الدرس

- (١) كانت وستظل رسالة الدعوة إلى الله شاقة ، لأنها رسالة الأنبياء و الرسل .
- (٢) الهداية والإيجاد و الإمداد بيد الله وحده .
- (٣) معني الشريعة و الحقيقة . وتلازمهما .
- (٤) متي يكون الداعية إلى الله مخلصاً ؟ ومتي تصل كلماته إلى قلوب مستمعيه . ؟
- (٥) تنجح الدعوة ، ويثمر البلاغ إذا وجدت البصيرة .
- (٦) لنا في سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم الأسوة الحسنة ، و القدوة الطيبة .
- (٧) معني توحيد الله عز وجل وتوحيد الرسول عليه الصلاة والسلام
- (٨) الفرق بين بشرية سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وبشريتنا نحن .
- (٩) ما المراد بالقراءة في قوله سبحانه وتعالى (**أقرأ باسم ربك**) ؟ وما السر في قوله سبحانه : (**خلق الإنسان من علق**) .
- (١٠) معني (الكُنْيَة) في قول الله عز وجل في الحديث القدسي . (**كنت سمعه الذي يسمع به • وبصره الذي يبصر به**)
- (١١) لا قيمه لأي عمل صغر أم كبر ، إلا إذا أريد به وجه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الداعي إلى الله وكيف يدعو ؟

إن أشق ما يكلف به المؤمن هو أن يدعو إلى الله سبحانه وتعالى :
وسر المشقة وسببها هي أنها دعوة الأنبياء والمرسلين • ولأنها
مرتبطة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لها شروط
معينة ، فالإنسان يستطيع أن يعلم الكثير - ولكنه لا يستطيع أن
يهدي واحداً ، لأن الهداية الحقيقية من الله وحده • وفي ذلك
يقول الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم (إنك لا تهدي من أحببت
ولكن الله يهدي من يشاء) •

أما قوله سبحانه جل شأنه في آية أخرى (وإنك لتهدي إلى صراط
مستقيم) فالهداية هنا المراد بها هداية الدلالة • بمعنى أنك تدل
الناس وترشدتهم إلى الصراط المستقيم - أما المقصود (بقوله عز
وجل) في الآية الأولى : أنك يا محمد لن تستطيع أن توجد الهداية
أو تخلقها في قلب الإنسان ، لأن الإيجاد و الخلق لله وحده ، وعلي
هذا فلا تعارض بين الآيتين • والآيتان تشيران إلى الشريعة والحقيقة :
والدين كله يدور بين الشريعة والحقيقة - فلا شريعة بلا حقيقة ،
ولا حقيقة بلا شريعة •

فلو سألت أحداً من الناس فقلت : من بني هذا المنزل ؟ لقال لك :
فلان ، هذا شريعة ، لأننا لا يمكن أن ننكر حق الباني - أما الحقيقة
فالله هو الباني ، لأنه الموجد والمُقدّر ، وهو الذي أعان الباني
وأعطاه الصحة و القدرة علي التنفيذ ، وأعطى المالك المال ، وهياً له
الأسباب .

توضيح آخر : حينما نقول : (لا حول ولا قوة إلا بالله) الواقع أن
هناك قول أو فعل أو حركة من مخلوق . لا نستطيع أن ننكر ذلك .
وهذه هي الشريعة . لكن الموجد و المريد و القادر هو الحق سبحانه
وتعالى . وهذه حقيقة .

ثم تناول الشيخ رضي الله عنه ورحمه دور الداعية ، وبين أنه متى
يكون مخلصاً ؟ ومتى تصل كلماته إلي قلوب مستمعيه ؟
يكون الداعية مخلصاً إذا وضع نفسه موضع المؤذن الذي يردد
الأذان للصلاة كما طلبت منه الشريعة ، وهذا دوره ولا يمكن أن
يتجاوز ذلك .

أما الذي يوجه الناس إلي الخير ، ويشد قلوبهم ، ويحرك جوارحهم
إلي الصلاة فهو الحق جل وعلا ، وهذه هي الحقيقة ، وبذا ترسخ
في أفهامنا أنه لا يمكن أن تنفصل الشريعة عن الحقيقة أو العكس .

ينادي المؤذن ويقول : أشهد ألا إله إلا الله (معبوداً) وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم (متبوعاً) .

وحيثما يرى الداعي نفسه مُبَلَّغاً لا مؤثراً يسلم دينه ويخلص من الرياء . والمؤذن ينادي ويقول : حي علي الصلاة ، يدعوا المؤمن إلي أن يتصل بالله ، و يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم علي طريقته (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلي الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) .

لو دعوت أحداً إلي أن يتعلم فرائض الصلاة أو الرضوء مثلاً لكان ذلك أمراً عادياً . لكن الدعوة إلي معرفة الله وصفاته أمر شاق وليس باليسير ولذلك بين الله سبحانه عظمة الأمر وشرفه ونبل غايته فقال :

(قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني) فهل هناك شرف يعلو شرف الدعوة إلي الله ؟ وهل هناك غاية نبيلة أسمى وأجل من هذه الغاية ؟ ولكن متى تنجح الدعوة ؟ ومتي يثمر البلاغ ؟ يثمر البلاغ وتنجح الدعوة إذا وجدت البصيرة ، و البصيرة بالنسبة للأنبياء والرسل نور النبوة واليقين الكامل ، و التوحيد الذي لا يعلوه توحيد ، و الحلم الفريد والحكمة البالغة .

الداعي لا ينجح في دعوته إلا إذا اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوته . والله سبحانه وتعالى يقول في بيان هذا : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

وقبل أن أنتقل إلى الآية الكريمة أحب أن أوضح حسب تصوري لمعنى الأذان . وهو أن الله أكبر الأولي إعلام ، لأن الإنسان في الدنيا يعيش فيها محجوباً بظلماتها ، والحق في هذه الساعة يريدك أن تدع الدنيا قليلاً ، و تضعها خلف ظهرك ، وتقبل علي الله بالكلية جزءاً من وقتك ، وحينئذ تفوز بخيري الدنيا والآخرة . أما الله أكبر الثانية فهي إعتذار قبل أن تكون تأكيداً ، لأن هذا الفهم الذي ذكرت الله به وناديت المسلمين إلى الصلاة به نتناول به أمور دنيانا من مطعم ومشرب . وأحياناً إذا قدر الله علي المسلم أن يغتاب فبهذا اللسان وتعظيم الله جل جلاله يقتضي أن يكون ذكره وتعظيمه بفم طاهر ولسان نقي ، ثم تعالوا معي لتأمل الآية القرآنية الكريمة (سبح اسم ربك الأعلى) لأن المؤمن إذا سبح فالتسبيح للاسم و الصفة ، لأن الذات العلية يعجز البشر عن تسبيحها مصداقاً لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه (سبحانك لا نحصى ثناء عليك

أنت كما أثبتت علي نفسك) هذه إشارات سريعة إلى ما يمكن أن يتضمنه الأذان من معان سامية ولا شك أننا بضربنا لهذا المثل قد وضحت إلى حد ما بعض الأمور التي لابد للداعي أن يعيش معها وبها .

أما الآية الكريمة السابقة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني) وقول الله عز وجل في الآية الأخرى : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)** .

نحن قد بينا ولو بقدر معني البصيرة بأنها في الأنبياء نور النبوة . الخ ما قلنا . نستدل علي نور النبوة بما ورد في حديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ما معناه (حينما طلب منه رجل أن يأذن له في الزنى ، وغضب من غضب من الصحابة ودفعه غضبه إلي أن يستأذن الرسول صلي الله عليه وسلم في ضرب عنقه ، لكن بصيرة النبي صلي الله عليه وسلم قد حسمت الأمر بأن سأل سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم . أتجبه لأملك ؟ أتجبه لابنتك . الخ كل هذا والرجل يقول : لا . لا وأخيراً طلب من سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم الدعاء فدعا له : **(اللهم اهد قلبه وحصن فرجه)**

فكان الرنى أبغض إليه من أي شئ •

قل لي بربك : أبعد هذا النور نور ؟ أبعد هذا الحلم حلم ؟ أبعد هذه
الحكمة حكمه • فصلوات ربي وسلامه عليك يا معلم البشرية ،
وقائدها إلى الخير والإيمان • هذا ، وظل باب الدعوة مفتوحاً ،
وسيظل ، إلى يوم القيامة ، لأن أمته صلي الله عليه وسلم خير أمة •
(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)
ولذلك قالت الآية (أنا ومن اتبعني) •

ثم تأتي الآية الأخرى ناطقة بهذا الإتياع (لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة الآية) •

(في رسول الله) في تفيد الظرفية • وفي الظرفية شمول وعموم ،
ومعنى هذا: (أسوة) في قوله وفعله ، في حركاته وسكناته ، في يقظته
ونومه ، في غضبه وحلمه ، في فرحه وحزنه ، كل هذه الأمور
صورها الحق عز وجل بقوله (وما ينطق عن الهوى) ولا يمكن أن
يقتصر النطق علي القول بل يشمل حركاته وسكناته ، وإشارات
وكل ما يصدر منه : عليه أفضل صلوات الله وأجل تسليماته •

هذا و التأسى ميّسر (لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر) •
(وكان يرجو) تشير إلى من كان أساساً متصلاً بالله ، واختاره الله

أزلا ، فكان موضع عنايته بعد أن أوجده علي ظهر البسيطة •
ولما كان بناء العقيدة من أهم مقاصد الدين ، مكث سيدنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم يدعو إلى بنائها حتى ترسخت وتشربت
قلوبهم كلمة التوحيد • (لا إله إلا الله محمد رسول الله) •

والله سبحانه واحد أحد فرد صمد ، ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير - ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى أثبت ملكيته لكل شيء ،
فقال : وقوله الحق (**ولله ملك السموات والأرض**) فالسموات
مخلوقة بيديه ، و الأرض كذلك مخلوقة بيديه • لكن مشكلتنا
كمخلوقين أننا ننازع الله في أرضه ، و نتصور فيها الملكية الحقيقية •
فأنت تقول هذا مترلي • و هذه ضيعتي وتلك المساحة الشاسعة
ملكي • و هذا ولدي • ولم نضع الله خالقا ومالكا في قلوبنا • إلا
أن المؤمن الحق الكامل الإيمان يقول : هذا ولدي والحمد لله ، و كذا
هذا مترلي و الحمد لله لأن الملكية مجازية •

أما السموات فلا ينازع في ملكيتها أحد ، لأنه لن يستطيع أحد أيا
كان جنسه أو لونه أن ينازع الله في السموات • فالمشكلة كل
المشكلة في الأرض التي نعيش عليها (أفرايت من اتخذ إلهه هواه
وأضلله الله علي علم) وما أنزلت، الكتب وأرسلت الرسل إلا

لتوحيد الحق سبحانه وتزبيبه عن كل شريك (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وهذا هو توحيد الحق .

أما التوحيد الخطير - فهو توحيد الرسول صلى الله عليه وسلم . وربما كان هذا التوحيد أمراً لا يدور في ذهن المسلم - لكن علي المسلم أن يعلم أن التوحيد بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن يتيقن أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم هو المرسل إليه وإلى الأمة الإسلامية وعلي هذا فأنا وكل مسلم مكلف بإتباع شريعته ، وملتزم بإقامتها ، فلو عبت الله علي شريعة نبي آخر فالعبادة مرفوضة غير مقبولة . هذا مع أننا معترفون ومطالبون بالاعتراف والتصديق بجميع الأنبياء و المرسلين من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما يجب أن يعلم المسلم أنه مقيد بعمل الشريعة فلا زيادة ولا نقصان . وضرب شيخنا - رضي الله عنه ورحمه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً . مثلاً فقال : عندما يمر الضابط علي الشرطي ، وأراد الشرطي أن يحيي الضابط فماذا يفعل الشرطي كي يؤدي التحية للضابط ؟ يرفع الشرطي يده معظماً ، وهنا لابد أن ننظر ، لو كان هذا الشرطي محباً للضابط لأدي التحية منشراح

الصدر ، لأنه مع الأمر ، ولو كان هذا الضابط مكروها لديه لأدي التحية في فتور ، لأنه في هذه المرة مع الأمر لا مع الأمر . يقول الشيخ ولقد ضربت هذا المثل لأبين أن الشأن في التكاليف الشرعية أن يؤديها المسلم حباً في الله تبارك وتعالى ، وهو الأمر ولا يليق أن يؤديها وهو مع الأمر المتمثل في الصلاة و الزكاة والحج .

فأنت تصلي و تصوم وتركي حباً في الله الأمر . فليست الصلاة وبقية التكاليف هي المرادة لذاتها ، بل نفعها تقرباً لله وحباً فيه - فحينما نسمع قول الله عز وجل (أقم الصلاة لذكرك) وإلي قوله (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) و إلي قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) المؤمن يسرع إلى العمل حباً في مرضاة ربه ، فهو كما قلنا مع الخالق الأمر وليس مع الأمر المتمثل في الصلاة وبقية التكاليف الشرعية لأنها أفعال مخلوقة .

ثم قال الشيخ رحمه الله : لو أن هذا الشرطي حيا الضابط بيديه الاثنتين لأعتبره الناس محبواً ، لأنه زاد عن المعتاد . - ومثل هذا - التكاليف الشرعية كما بينا يجب أن تؤدي بلا زيادة ولا نقصان - وأي عمل يصدر من المسلم يجب أن يكون عليه طابع الرسول صلي

الله عليه وسلم • ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر كما قال القرآن الكريم (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) • نحن من غير شك نقر ما جاء به القرآن في أنه صلى الله عليه وسلم بشر لكن الفرق كبير جداً والمسافة واسعة •

ثم بين الشيخ رضي الله عنه الفرق فقال (حينما يولد الطفل نقول إنه ذكر وكذا أبوه ذكر فانظر رحمك الله الفرق الشاسع بين ذكورة الطفل الوليد وذكورة الأب) والآن بعد هذا ميزت ووضحت وفصلت المماثلة : أما قول الحق عز وجل (يوحى إلي) فهذه الكلمة الشريفة وضحت بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعلتها مقيدة بالوحي فلم تبقى المماثلة في البشرية إلا في قدر ضئيل و هذا القدر الضئيل في البشرية ليتمكن التأسى والإقتداء (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) نحن جميعاً مطالبون بتوحيد القصد انتظاراً للجزاء في اليوم الآخر ، ومطالبون بتوحيد الله معبوداً ، وتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم متبوعاً ، ومطالبون بتوحيد نفسك مطلوباً وطالباً - نطلب من الله بذل العبودية - والله مطلوب بعز الربوبية •

وتوحيد الله يقتضي مني أن أعمل وأشعر باحتياجي إليه ، لأن كل ما

عدا الله مفتقر إليه (**يأيها الناس أتمم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**) المؤمن يعمل و يتعاطى الأسباب امتثالاً ، لأنه مع ربه فهو يعمل ممثلاً كي يرضي ربه وخالقه و غير المؤمن يتعاطى الأسباب اكتساباً بمعنى أنه يعتمد كلية علي الأسباب - فالمؤمن حينما يذهب إلى الطبيب يذهب إليه لأن الله أمره بالتداوي ، يذهب المؤمن وهو معتمد علي خالقه وبارئه لعلمه بأنه الذي يشفيه (**وإذا مرضت فهو يشفين**) و غير المؤمن يذهب إلى الطبيب لأنه ماهر فهو مع شهرته ومهارته لا مع ربه و هذا معني أنه يتعاطى الأسباب اكتساباً .

ثم تعرض رضي الله عنه استطراداً لظلم الإنسان واستدل علي هذا بقوله لو سألك أحد : من هذا ؟ ستقول (**إبني وولدي**) أنظر عافاني وعافاك الله إلي ظلم الإنسان : أين دور الأم ؟ أين فترة الحمل بهمومها ؟ أين أيام الرضاعة بسهرها ؟ أين المعاناة التي لاقتها بكل صورها ؟ ولو قال الإنسان ولد ربنا لكان مشركاً - ولو قال ولد المرأة لكان معني هذا أن الولد ابن حرام ما المخرج من هذا كله ؟ المؤمن يجيب ويقول ولدي والحمد لله ثم ذكر رضي الله عنه الآيات القرآنية التي توضح ظلمه و كفره بخالقه وبالنعم التي أنعم بها

عليه فقال (أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟)
وقال في سورة اقرأ (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من
علق) فالآية بينت أن بداية الخلق من العلق و نفت المرحلة السابقة
حتى لا يكون هناك شريك مع الله و نفت الوسطاء لأنه الموجد
الحقيقي لكل شئ .

ولذلك كان مطلع السورة مشيراً إلى الحقيقة الكبرى . وهي
توحيده عز وجل (اقرأ باسم ربك) فلم يكن المراد القراءة المعروفة
لكن الحق يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام : اعلم أن كل ما
نشاهده في عالم الملك وعالم الملكوت ينطق بأن الله خالقه ومُوجِدُه ،
ولذلك فرض علينا قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة في كل ركعة ،
لأنها تضم كل ما جاء في الكتاب من معني (رب العالمين) رب
العوالم كلها إنسها وجنّها وطيرها ، رب السموات والأرضين رب
العرش والكرسي - رب الملائكة المقربين ، رب الأنبياء و المرسلين ،
رب كل ما كان وما سيكون .

ولذلك لا يستطيع أي مخلوق أن يحمده . لكنه سبحانه حمد نفسه
بنفسه وطلب منك أيها المسلم أن تردد هذا الحمد (الحمد لله
جملة) ، فأنت لا تستطيع أن تحمده تفصيلاً ومثل هذا كمن سجل

عليك مبلغاً ثم قال لك الدائن وقع لي علي هذا الشيك و هدفه من هذا إقراراك بما عليك . وحينما أنزل الله علي نبيه عليه الصلاة والسلام (اقرأ) ظل باب طلب القراءة مفتوحاً . ويوضح هذا ما جاء في سورة الضحى بأن الحبيب المصطفى ظل قبل الرسالة وفي أثنائها متطلعاً إليها منتظراً في كل وقت لقاءه الكريم بأمين الرحي سيدنا جبريل عليه السلام . يصور هذا التطلع قول المولي عز وجل (**ووجدك ضالاً فهدى**) (**ضالاً**) أي متطلعاً للهداية الحقه . والتوحيد الكامل لخالقه - وهو بهذا مخالف لما كان عليه قومه فشأنه شأن من ينشد ضالته - و استمرت حرارة التطلع موجودة وما يؤيد هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام استوحش عند انقطاع الوحي فترة من الزمان ، حتى نزلت سورة (**الامتنان**) سورة الضحى و الضلال في سورة الضحى ضلال هداية لا ضلال غواية - والسورة من بدايتها حتى نهايتها مشعرة بمقام الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومكانته من ربه معددة نعمه وأفضاله علي حبيبه ومجتابه ، عليه أفضل صلوات الله وأجل تسليماته ، نعم ظل التطلع موجوداً حتى نزل عليه قول الحق : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**) وكان هذا إيذاناً

باكتمال الرسالة • وفاتحة الكتاب تصور موقف الحق يوم القيامة
وموقف الخلق • أما موقف الحق (**الرحمن الرحيم**) وموقف الخلق
مثل في قوله تعالى (**مالك يوم الدين**) لأنه يوم الجزاء •
فهو سبحانه مسخر لكل الكائنات • فمتي أحسست أيها الإنسان؟
ومتي شكرت ؟ ومن أجل هذا فرض الله الصلاة لتكون شكراً لله
سبحانه • وكانت بدايتها مقرره بأن الله أعظم من كل الكون بمن
فيه وبما فيه الله أكبر • الله أكبر • نحن بهذا لا زلنا مع الآية
الكريمة (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و**
اليوم الآخر وذكر الله كثيراً) •

ولقد بينت الآن أن من لم يقصد وجه الله فلا قيمه لعمله • وأكدت
أن الذي يحصل علي جزاء عمله هو من قصد الله معبوداً ،
و الرسول صلي الله عليه وسلم متبوعاً • ولقد صدق الله في قوله :
(**وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنكبون**) (**وذكر الله**
كثيراً) كما نشاهد ونشعر أن المسافة بين الصلوات كبيرة و المؤمن
المتعلق بربه لا يمكن أن يغفل عن ذكره حتى لا ينقطع عن ربه لذلك
رسم لنا رسولنا صلي الله عليه وسلم طرقاً كثيرة للخير وأعمال البر
ومنها ما ورد في الحديث الشريف ما معناه (**لا يؤمن أحدكم حتى**

يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فهذه المشاعر الصادقة لن تكلفه عناء كثيراً وفي حديث آخر ما معناه **(ابتنسأمك في وجه أخيك صدقه)** حديث ثالث ما معناه **(إِمَاطة الأذى عن الطريق صدقه)** .

بسلامك علي أخيك المسلم تحصل علي حسنات كثيرة - حدثني بمن خلقت وخلقني هل هناك يسر بعد هذا اليسر ؟ هل رأيت ديناً أسمح من هذا ؟ ثم بين الشيخ رضي الله عنه فقال إن لم تتقارب وتتواد مع الأحياء ، فهؤلاء هم الأموات فلتعامل معهم ولن يكلفك هذا أكثر من الدعاء الممثل في قول الله عز وجل . **(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا)** نحن وإن لم نكن من الأنصار أو المهاجرين لكن الله سبحانه لم يغلق أبواب رحمته ، بل ترك الباب مفتوحاً إلي يوم اللقاء . **(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا)** الآية . و إليكم الحديث القدسي **(ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . . . الحديث)** ومعني هذا أن العبد يتصرف تلقائياً للعمل الذي يرضي ربه . و تصبح كل تصرفاته مقيدة بالحق . ومما يوضح هذا ويشبهه أن الإنسان عندما يريد أن يأكل تمتد يده تلقائياً إلى فمه . و هذا معني **(الكُنْتِيَه)**

وتعال أخي المؤمن لننظر إلى هذه العطاءات الضخمة المتتالية المتابعة
المنهمرة إنهمار الغيث علي الأرض الجدباء (ولئن سألني لأعطينه
ولئن إستعاذ بي لأعيذنه) حمدا لك يا رب الأرض والسماء • يا من
تعطي من تشاء بغير حساب •

وعندما يفعل المأمور تلقائياً ، و ينتهي العبد عن المنهيات تلقائياً
يصبح ربانياً •

ثم بين لنا رضي الله عنه مرة ثانية معني التلقائية والربانية - كمن
تعاطي قطعة من الحلوى • سريعا ما تصدر الإشارات من الدماغ إلي
الفك ليتحرك وإلي الأسنان لتعمل ، وإلي اللسان ليؤدي وظيفته ، ثم
إلي المعدة ومن المعدة إلي الأمعاء ثم تبدأ الدورة الدموية عملها كل
هذا تلقائي و هذه الأمور المتتالية هي التلقائية التي لا تَكْلُفُ فيها
(وهذه هي الربانية) وليس معني الكُنْتِيَّة أن يفعل العبد ما يشاء
بقدرته ، لأن مثل هذا لا يتأتى من مخلوق أيا كان وضعه أن يوجد
أدني شئ ، أو يسخر أقل شئ ، أو تكون له شركة مع الحق في
الإيجاد •

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

(**ألا إن في الجسد مضغه ، إذا طاحت طم الجسد كله**) يؤكد الحديث بوضوح أن تصرفات العبد تصبح كلها سليمة بصلاح القلب . فلو نظر أي إنسان إلى أمه فإنه لا يشتهيها و كذا أخته - أين الشهوة ؟ انتهت أمام المحارم . فالمؤمن نظرتة إلى الأجنبية كنظرتة إلى أمه لا يمكن أن تتحرك شهوته لأن حواسه مع ربه لا تحيد ولا تميل - الكنتية الربانية تظهر في نظرة المؤمن إلى الدنيا ، لأنه حينئذ ينظر إليها بنظرة الله لها (**اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة** . . . الآية فالمؤمن ينظر إلى الدنيا نظرتة إلى دورة المياه ، لا يذهب إليها إلا مضطرا كما أنه لا يمكن أن يأنس بدورة المياه (**رحمة الله ورضوانه عليك أيها الشيخ الملهم المقنع**) . أرأيت أخي إقناعا أعظم من هذا ؟ أرأيت بيانا أوضح من هذا البيان لذلك أرجو أن يشترك أخونا القارئ معنا في أن نطلب له من الله الرحمة وأن ينفعنا وعباده المخلصين بما نقرأ و نسمع كما نسأل المولي العلي القدير أن يلحقنا بهم وبالصالحين من عباده المؤمنين وأن يحشرنا معهم . ثم استمع معنا أخانا إلى قول الله سبحانه (**وبالوالدين إحسانا**) لو كان الإحسان من الأبناء متيقنا لكان أمر الله لنا عبثا أما المؤمن الرباني فهو يحسن إلى والديه تلقائيا .

لأن حياته كلها ، عقله ، مشاعره ووجدانه ، و ضميره مع الحق سبحانه وتعالى : من هنا ندرك معنى قول الله تبارك وتعالى (**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**) والله سبحانه لا يحاسبنا علي حينا للدنيا لأننا محتاجون إليها بحكم حياتنا فيها من مأكَل ومشرب وملبس • ولذلك وصانا الحق بقوله عز وجل (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) معنى هذا أن الحق يطالبنا بأن تكون حياتنا مرتبطة بالآخرة • فيسعي المؤمن وهو في سعيه ناظر إلى الآخرة • وَيَكِدُّ ليعيش إِمْتِلَاءً لقول الحق (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**) فهو يأخذ الدنيا بأمر الله • ومن أخذها بأمره فإنه لا يرتشي ، ولا يغتصب ، ولا يحتكر ، ولا يمنع حق الله في ماله وهو بهذا لا يمكن أن يظلم فحياة المؤمن كلها حب ، تراحم ، تعاطف ، وتواد فهو الذي يرحم الأرملة و اليتيم • ونراه يدخر كل شئ أمكنه رصيдаً للآخرة • ولقد أخطأ من فهم قول الله (**وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) أن الحق بهذا يدعو للإقبال عليها - لكن المراد و الله أعلم بالصواب • لا تنس أيها المؤمن أن تتصرف فيما زاد عن حاجتك فتجعله رصيдаً للآخرة •

ثم ضرب الشيخ رحمه الله المثال لهذا وقال : أمامك موظفان

أحدهما اجتهد وعمل وظل يكافح . أما الآخر فتكاسل وأهمل .
ما الثمرة التي يجنيها كل منهما ؟ عند المعاش يكون نصيب المجتهد
من غير شك كبيراً يقوم بحاجته أما المتكاسل فنصيبه سيكون ضئيلاً
لا ينفعه ولا يكفيه . و هذا هو النصيب (ومن أراد الآخرة وسعي

لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)

ثم بين رضي الله عنه ورحمه أن الدنيا لا يمكن أن نفصل عنها ، لأننا
كما قلنا فيها نأكل ، و نشرب ، نتزوج . و القرآن حينما دعانا
إلى العمل للآخرة ربط الثواب و الجزاء وشبهه بمأكولات الدنيا
ومشاربها وإن اختلفت الأصناف كل الاختلاف عن ثمار الدنيا
حيث لا يجمعهما إلا الاسم فقط (**ثلة من الأولين .. وقليل من
الآخرين .. علي سرر موضونة متكئين عليها متقابلين .. يطوف
عليهم ولدان مغلدون .. بأكواب وأباريق وكأس من معين .. لا
يصدعون عنها ولا ينزفون .. وفاكهة مما يتخيرون .. ولحم طير مما
يشتهون .. وحوارين .. كأمثال اللؤلؤ المكنون .. جزاء بما كانوا
يعملون)** فلو لم نتناول ملذات الدنيا لن يجذبنا هذا العرض . وفسر
رضي الله عنه الآية الأخرى التي فيها (**حور مقصورات في الخيام**)
بأنهن لا يتطلعن إلى أي إنسان آخر لأن نصيب المؤمن في الآخرة
علي قدر عمله .

من هنا نرى ضرورة الإيمان باليوم الآخر ، لأنه حافز شديد ، معين علي العمل ولذلك جاء في فاتحة الكتاب (الرحمن الرحيم ٠٠ مالك يوم الدين) يوم الجزاء ولقد صدق الحق حيث أبرز هذا ووضحه في قوله عز وجل : (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) ؟ وقال بعد أن حثنا علي السعي في الدنيا : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ٠ وإليه النشور) (وكلوا من رزقه) لم يقل من سعي الإنسان لأن المؤمن يرتبط دائما بالمسبب و الموجد ٠ وحينما قال الحق (أفرايتكم ما تحرثون ٠ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أراد الحق أن يبين مظاهر قدرته في الخلق حيث يضع الزارع بذرة واحدة تخرج منها مئات البذور ولذلك كانت أول سورة نزلت في القرآن الكريم (سورة العلق) تبين للناس نعمة الإمداد لأن النعم متواصلة ومتتابعة ولذلك جاءت الآية (اقرأ وربك الأكرم) ولم يقل الكريم ، لأن الأكرم تبين أن من عظمة الله ورحمته بعبد أن قدر له رزقه قبل خلقه ٠ (أكرم) ، لأنه خلقنا آدميين (أكرم) لأنه خلقنا مسلمين وموحدين ٠ أما الكفار فجعلهم أدني منزله من الحيوان فقال (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) هذا مع اختراعاتهم وحضاراتهم

في الدنيا واستحقوا هذا لأنهم حرموا نعمة الإيمان في الدنيا ولم
يؤمنوا بالغيب ، لأن الإيمان بالغيب من صفات المتقين • (**الم ذلك**
الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين • الذين يؤمنون بالغيب) (**الم**)
قال المفسرون الله أعلم بمراده ثم وصف الله عز وجل الكتاب أي
القرآن بأنه لا ريب فيه ، وبين لنا أن المسلم لن يدرك من كتاب الله
إلا النذر اليسير (**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**) و
الواقع والحقيقة أن جهلنا بمعاني القرآن يتساوى مع جهلنا بمطلع
السور • وأن العلماء مهما أوتوا من العلم فلن يصلوا إلى مواد الله
سبحانه وتعالى ، وأن السلامة كل السلامة في تفويض الأمر لله والله
وحده - والإيمان بأن القرآن (**لا ريب فيه**) و ليعلم كل مسلم أن
القرآن كله نفي وإثبات ، نفي الباطل ، وإثبات الحق • ولذلك قال
الرسول صلي الله عليه وسلم : (**أفضل ما قلته أنا والنبيون من**
قبلي لا إله إلا الله) ثم جاءت الآية بعد ذلك تقول : (**الذين**
يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة) و هنا طرح الشيخ رضي الله عنه
سؤالا وقال حدثوني بربكم : حينما يسمع المؤمن من المؤذن (**حي**
علي الصلاة) هل يشعر ويستقر في قلبه أنه ذاهب إلى ربه ؟ سؤال
آخر: لو حضر إلى منزله وقالوا له : إنك مطلوب في الشرطة لمقابلة

مأمور القسم . هل يتأخر؟؟ كلا و ألف كلا . بل سيذهب
وسيشعر بأنه ضعيف أمام المأمور لأنه صاحب سلطة لكن لو دعاك
ربك هل تشعر بأنك في أمان لأنك ذاهب إلى ربك الكريم (الذي
خلقك فسواك فعدلك) فالإنسان يتوضأ ويستعد لصلاته ، و ينتهي
منها، ولم يخطر علي باله ربه . ومع هذا لم يحرمه الله من ثواب
الصلاة لكن التقرب يكون ضعيفا ، لأنه لم يضع الله في قلبه .
والمسلم قبل وضوئه حينما يستعد للصلاة . وبعد أن يدخل في
الصلاة هو مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لكنه بعيد عن ربه
و المسلم بهذا أخذ بالشطر الأول من الآية : (**لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة**) لكنه توقف عند هذا الحد ولم يعيش مع قوله
الله تعالى (**لمن كان يرجو الله و الآخر وذكر الله كثيرا**) .

وضرب رحمه الله ورضي عنه مثلا للأمر الباعثة علي الهمه
والعمل فقال الموظف يعمل شهرا كاملا ، فما الأيام التي تحركه
للعمل ؟ أهى الأيام الأخيرة من الشهر ، أم الأولى ، كلنا سنجيب
بأنها الأيام الأخيرة من الشهر ، لأنه لو لم يحصل علي راتبه
الشهري فإنه قطعاً سينقطع عن العمل . مثل هذا وضع الآخرة .
نحن هنا نعمل في الدنيا . و مثلها مثل الأيام الأولى من الشهر

لتحصل في الآخرة علي الثواب الذي هو بمنزلة الأيام الأخيرة من الشهر .

من أجل هذا فالحق يدعونا إلي أن نقف بين يديه خمس مرات في اليوم لنقبل عليه - فالحق يعرض علينا صفات الربوبية ، وصفات الألوهية لمصلحتنا حتى نتعرف عليه . كما نتعرف عليه أيضا بصفات القدرة . فالله رب معبود لا معبود سواه .

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنجيئنه حياة طيبة . ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

وقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) بين له بدايته حتى لا ينتفخ ولا يتكبر علي ربه ، وحتى يشعر بذل العبودية ، لأنه خلقه من مضغه . وتولاه منذ كان شيئا لا يذكر في بطن أمه - فكيف به بعد أن نما وترعرع يتعالى علي خالقه وهو منشئه من عدم ؟ ولنقف مع توضيحه رضي الله عنه في قول الحق تبارك وتعالى (اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم) أي قلم هذا ؟ إنه قلم القدرة التي جعلتك تتكلم وتنطق بما يدور في نفسك من معان ، وتبين بحركاتك و سكناتك وحلك وترحالك ، وسفرك وإقامتك ، ويقظتك ونومك ، وغناك وفقرك تبين مراد الله فيك وبك ومنك .

ففي كل لحظة خلق وإيجاد وإمداد . فانظر كيف تنطق ؟ هل عندك كلام مسجل ؟ هل في وسط رأسك أسطوانة أو لوحة تقرأ ؟ لا لا ولكن كما قلنا في كل لحظة تمر إيجاد وإمداد من رب الأرض و السماوات . وبعد هذا بينت سورة العلق إلى أي مدي وصل جحود الإنسان ، و تنكره لخالقه . ولذلك جاء التصوير في الآية أدق تصوير ، وأوضح بيان (**كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**) الإنسان البعيد عن ربه يري أنه أصبح في غنى عن خالقه - لكن قهر الربوبية يجعله في كل لحظة محتاجاً إلى ربه . قل لي بربك كيف يستغني ؟؟ هل من الممكن أن يستغني عن الهواء ؟ هل من الممكن أن يستغني عن الماء . ؟ هل يستغني عن النوم ؟ أو المأكل و المشرب . ؟ هل من كذا ؟؟ و لذلك جاءت الآية كالصفعة المنبهة (**إن إلي ربك الرجعي**) إذا لم ترجع أيها العبد بالتوبة . فغداً سيكون رجوعك قهراً بالموت ثم العذاب الشديد (**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنلكبون**) وحتى لا نبتعد عن الله نري أن الله من رحمته يذكرنا دائماً بنعمه علينا (**وما بكم من نعمة فمن الله**) . فالإنسان كثيراً ما يشعر أن النعمة من كسبه لأنه هو الذي يعمل - وهو الذي يتقاضى راتباً شهرياً نظير عمله . لكن الآية

الكريمة تبين للمؤمن بوضوح أن مصدر رزقه هو من الله وحده ، لأنه هو الذي يسر له العمل وأعطاه القدرة عليه . ولأن الإنسان تصور أن الكسب كسبه ، وأن ما يحصل عليه من مال ثمرة جهده هو . من أجل هذا ضن علي نفسه أن ينفق أو يتصدق من هذا المال ، ولو بأدنى شيء ، لكنه لو صحت نظرتة ونظر إلي بر الله به ، وتوفيقه له لأسرع إلي الصدقة ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

ولهذا قضي الحق بأن كل عمل غير مرتبط بالله فهو خسارة فادحة . فقال وقوله الحق (**والعصر إن الإنسان لفي خسر** ٠٠ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) هذا ولن يتأتى جانب ربط الأشياء بالله إلا إذا رسخت العقيدة ، وتمكنت من قلب المؤمن (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) .

فليست الأمية أمية قراءة فقط . بل هناك أمية عقيدة ، لأن العرب عاشوا في ضياع ، فلا عقيدة تربطهم ، ولا ربّ يعبدونه يُقَرَّبَهم ، ولذلك صور الله حال رسوله قبل بعثته فقال (**ووجدك ضالا فهدي**) أي متطلعا إلي الهداية ، متطلعا إلي رب تعبد به بعد أن أبت فطرتة الطاهرة أن يعيش كما يعيش غيره من بقية العرب . وهناك أمية

أخرى هي أمية الغيب فالإنسان لا يعرف ماذا سيكون من أمره بعد لحظة من الزمان ، لأن المستقبل كله مجهول (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) فأميته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتلق تعليمه علي يد بشر • بل كان تعليمه من الله وحده • ولذلك عندما نزل عليه أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام (قال له اقرأ) قال الرسول عليه الصلاة والسلام • ما أنا بقارئ وكلما ردد سيدنا جبريل عليه السلام (اقرأ) قال عليه السلام • ما أنا بقارئ تأكيداً للنفي وإثباتاً بأنه لم يتلق القراءة قبل علي يد بشر •

ولذلك حرص رضوان الله عليه أن يبين أن ثمره الأعمال لا يمكن أن تتحقق إلا بالحرص الكامل علي متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معني التأسّي في قول الله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) قال إن التأسّي هو أن يذّيب التابع إرادته في المتبوع بحيث لا تظهر للتابع إرادة مستقلة وشبه هذا بابن يسافر مع والده • الابن لشدة ثقته بأبيه يعيش في ظل إرادة والده فلا تظهر له إرادة مستقلة (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) معني هذا أن الحق طالبنا بإلغاء إرادتنا وأمزجتنا البشرية كي نعيش في إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نظفر برضا الحق

سبحانه فالمؤمن يحاول دائماً إتباع رسوله عليه السلام حتى ينال الأجر . والإتباع أمر يسير جداً إذا ما تعود الإنسان ذلك ولنضرب لذلك مثلاً . عامة الناس تعودوا أن يشربوا علي أية كيفية كانت ففري الإنسان يأخذ الكوب بيساره ويشرب الماء دفعة واحدة ، المؤمن مقيد بالإتباع ، ولذلك فهو يتناول الكوب بيمينه ثم يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) ويشرب علي ثلاث مرات : يسمي الله في كل مرة ثم يحمده في كل مرة . هل كلفه هذا الفعل مشقة ؟ أظن لا ومع هذا حصل علي حسنات كثيرة .

عرف هذا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فلم يتأخروا عن إتباع الرسول صلي الله عليه وسلم قِيَدَ أُنْمَلَةٍ . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) الهوى من حيث الواقع موجود فليس الهوى كله مذموماً : إنما المذموم ما خالف الشريعة (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله) و الرسول صلي الله عليه وسلم هداه من الله (وما ينطق عن الهوى ٠٠ إن هو إلا وحي يوحى) ولقد قلنا وكررنا ونقول مراراً تأكيداً للمعنى : كل عمل يعمل به المسلم بحكم بشريته وغرائزه لا ثواب له . ولذلك جاء حديث

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه مؤكداً لهذا حيث قال (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) وتاممها أن تربطها بالله .

فلو نزل عليك ضيف ثم قدمت له الطعام فاجعل ضيافتك له لوجه الله . ولو دعيت لنصرة مظلوم مثلاً عليك أن تنظر إلي هدي الرسول عليه السلام . ولو أعنت ضعيفاً أو استقرضك مسلم قرضاً فيجب أن تكون تلييتك لوجه الله . وهذا معني أن الأخلاق الحميدة الكريمة موجودة . لكن تمامها يكون بحسن الباعث و القصد .

والمؤمن مطالب بالعمل حتى يلقي ربه . ولذلك قيل : التقوى في ثلاث فعل المأمور ، ترك المحذور ، والرضا بالمقدور - وأصدق سلوك المؤمنين في رضاهم بالمقدور . و المؤمن في فعل المأمور مع الملائكة (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) وفي الرضا بالقضاء يقول لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ما معناه (**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**) .

وعلي المؤمن أن يدرك أنه يعيش في حياته الدنيا بفعل صفاته رحمن رحيم وهو في الآخرة أيضا يعيش بها . و يتضح هذا في حقيقة البعث . وهو إحياء الموتى من قبورهم ليحاسبهم الله عز وجل ،

فمن عمل صالحاً كان جزاؤه الجنة • ومن ارتكب معصية وتاب •
وجده غفوراً رحيماً • وكونه غفوراً يستلزم أن يكون العبد عاصياً
ومذنّباً • فهو سبحانه وتعالى يقدر المكروه علي عبده ليحصل له
المحبوب • ومعني هذا أنه سبحانه يقدر علي عبده المعصية لتكون
التوبة من المؤمن • وفي ذلك يقول الحق (إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين) وفصل بين التوابين والمتطهرين بإعادة الفعل
(يحب) ومعني التوابين أن الله حينما يوفق العبد لفعل طاعة • فلو
تصور هذا العبد أن الطاعة وقعت منه ولم تكن من الله • وإنما كانت
من نفسه لو تصور العبد هذا ، لاحتجب عن ربه • وحينئذ كان
عليه أن يصحح موقفه بالرجوع إلى الله تائباً من مشاهدة نفسه في
العمل ، وانقطاعه عن ربه (والمتطهرين) من ذنوبهم • ولنعلم
أن الله لا يحاسب العبد لذنوب وقع منه لأن هذا من طبيعته البشرية •
فكونه غفوراً يستلزم أن يكون العبد مذنّباً وإنما يحاسبه علي تسويفه
في التوبة وتأخيرها لها (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم
مناها حسناً إلي أجل مسمى) وفي آية أخرى (فقلت استغفروا ربكم
إنه كان غفاراً • يرسل السماء عليكم مدراراً •)

والحديث يقول ما معناه (**لو لم تذنبوا لآتي الله بقوم يذنبون** **٠٠ الحديث**) فالحديث في ظاهره كأنه يدعو إلى ارتكاب الذنوب ويحض عليها . ولكن والله أعلم بالمراد أن الله خلق الخلق ، وركب فيهم الغرائز البشرية ، ومن الطبيعة البشرية الوقوع في الذنوب . ولا بد أن يقابل هذا الذنب الواقع من العبد بالمغفرة من الله سبحانه وإلا لتعطلت صفات الله عز وجل . ويؤكد هذا قول الله تعالى (**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**) معني هذا أن الإنسان يعيش في ظلمات كثيرة . و الله هو الذي يتولى إخراجهم منها : ولذلك كانت مهمة الداعي الأول سيد الخلق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم واضحة في قول الله : (**يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ٠٠ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**) ولتأمل دعاءه عليه الصلاة والسلام حيث كان يدعو ويقول (**اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وجدي وهزلي وخطئي ، وعمدي ٠ وكل ذلك عندي**) إذا كانت هذه لغة الرسول عليه الصلاة والسلام فأين نحن من هذا ؟

لكن القول الحق : أن الرسول عليه الصلاة والسلام يمثل الرسالة ككل . وذلك مثل قوله تعالى (**ولقد أوحى إليك وإلى الذين من**

قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) معني هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يمثل الرسالة و التوحيد بكل تمثيل بداية من سيدنا آدم عليه السلام حتى ختمت برسالته صلي الله عليه وسلم . وهو عليه السلام لم يقع منه ذنب لأنه معصوم و الله يقول (**والله يعصمك من الناس**) وليس معني (**يعصمك**) يحفظك لأنه عليه السلام تعرض لأذى كثير من قومه تارة بالسباب وأخرى برميهِ بالحجارة إلي غير ذلك مما وقع له عليه السلام - ولكني أقول - و الله أعلم بالمراد - أن العصمة في الآية هي أنه خلصه من الغرائز البشرية التي تخرجه عن خط الإيمان . فلم يكن مثل بقية الخلق في تناولهم للغرائز . فهو يأكل كما يأكل الناس ، ويشرب كما يشربون ، ويتزوج كما يتزوجون لكنه نزهه عن الهوى لأن تناوله لأي شئ كان باسم الله (**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**) وكلمة ينطق ليست مقصورة علي القول بل كل حركاته وسكناته تنطق بما يأمره به ربه ويريده . فمثلاً كان يغضب ولكن غضبه كان لله فكان صلي الله عليه وسلم ترجماناً حياً لقول الله عز وجل (**اقرأ باسم ربك**) ولقد وضعنا سابقا معني (**اقرأ باسم ربك**) . ولذلك كانت الحركة الصغيرة ، والإشارة الخفيفة صادرة من مشكاة

النبوة وحينئذ لابد وأن يكون عند قول الحق : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

ونستطيع الآن أن نفهم أن معني عصمه الله لأنبيائه أن الخطأ لا يقع منهم . وأن وقوع الذنب منهم محال وما أشبه العصمة بقضيب السكة الحديدية الذي يسير عليه القطار فلا يمكنه أن يخرج عنه . فصلوات ربنا وسلامه علي سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم سيد الدعاة وإمامهم وقبل أن ينتهي بنا الدرس نحب أن نسجل لله كلمه في هذا المقام أن الشيخ رضي الله عنه ورحمه مع قربه من ربه ولا نركي علي الله أحدا ومع خشيته منه عز وجل وشدة ورعه سمعناه كثيرا ما يردد تلك المقولة الشهيرة في شدة خشيته من ربه كان يقول بمناسبة الدعوة إلي الله (أنا كمن حملت سفاحا - أستحي بين يدي ربي حينما يسألني يوم أن ألقاه من أنت حتى تتحدث عني ؟؟؟)

فاللهم اغفر له وارحمه وأنزله منازل الصديقين ، و ألحقنا بهم علي خير ما نكون من الإيمان و اليقين و صلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد: صلي الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين .